المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فيعد علم اللغة النصى فرعاً من علم اللغة العام، وهو ثمرة تلاقح الدراسات النحوية والبلاغية والأدبية، فقد أفاد منها جميعاً، وأفادة أيضاً من الدراسات الغربية التى ادّعته لنفسها وسلّم لها بذلك بعض العرب دون فضل يذكر لمفسرى القرآن الكريم الذين وضعوا القواعد العامة فى تفسير النص.

وقد اتجهت الدراسات اللغوية الحديثة إلى تحليل النصوص في ضوء المناهج الحديثة؛ لتكون أكثر فائدة من الدراسات النظرية وبعض الدراسات التقليدية التي تشرح معاني الألفاظ شرحًا معجميًا بعيدًا عن سياقها الخارجي، وتدرس الجمل بعيدًا عن النص، وهي جزء منه.

والدراسات النصية الحديثة تدرس الجمل في ضوء ظروف إنتاجها وعلاقتها بالنص الذي تشكل جزءاً من دلالته، وتدخل هذه الدراسات في علم اللغة النصي، وهى اتجاه لغوي له جذوره في الدراسات البلاغية القديمة، فقد بحث العلماء تركيب الجملة في علم النحو، وبحثوا دلالتها في علاقتها بما جاورها في النص، وهذا من اختصاص علم البلاغة الذي يعالج الألفاظ والمعاني والروابط النصية .

وبعض الباحثين المعاصرين بحثوا عن الدراسات النصية في أعمال النحاة، فبادروا باتهامهم بأنهم قصروا فيها، وزعموا أن الدراسات العربية القديمة لم تعالج النصوص معالجة عامة في ضوء العلاقات التي تربط بين أجزاء النص، وأنهم لم يتجاوزوا الجملة إلى العلاقات التي تربطها بالنص الكلي الذي تمثل لبنة فيه، وهذا خطأ آخر سقطوا فيه؛ لأن الجمل من اختصاص علم النحو الذي يدرس عناصر الجملة والعلاقات بينها، وعلم البلاغة يدرس العلاقات النصية التي تجمع بين الجمل في خطاب واحد أو نص واحد، فعلم اللغة النصي في أعمال القدماء في الدراسات البلاغية وليس في أعمال النحاة، فالبلاغيون بحثوا عن الوظائف النحوية في النصوص وأثرها في المعنى، وقد استطاع عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) أن يضع منهجًا جديدًا في الدراسات النصية جمع بين علم النحو وعلم البلاغة، وليست بمبالغة إن قلنا إنه مؤسس الدراسات النصية العربية في كتابه «دلائل الإعجاز»، وقد توقف هذا المنهج بعده فلم يتوسع البلاغيون من بعده في هذا المنهج واكتفوا بالجوانب البلاغية،

واعتدوا بكتابه «أسرار البلاغة»؛ لأنه كان بلاغيًا صرفًا فيه وحذو حذوه، ولم يجعلوا منهجه في «دلائل الإعجاز» أساسًا لهم في البحث البلاغي؛ لأنه عالج النصوص معالجة نحوية، وجعل الوظائف النحوية هدفه في تحليل النصوص، وقد استطاع أن يصل منها إلى أسرار العلاقات الداخلية بين الجمل، ولكن الدراسات البلاغية من بعده اتجهت إلى شرح متون كتب البلاغة، ومازال كتاب عبد القاهر «دلائل الإعجاز» موضع اكتشاف لكثير من الدراسات الحديثة، فالأسلوبيون يرون أن عبد القاهرة رائد البحث الأسلوبي في «دلائل الإعجاز»، والنصيون المحدثون يرونه أول من اتجه إلى بحث الدراسة النصية ، وهؤلاء يتجاهلون مفسري القرآن الكريم، فقد تجاوزوا المعنى اللغوي إلى النص الكلي وتأويل ما تشابه من النصوص، وجعلوا من آلة المفسر معرفة أسباب النزول، لأنها تعيِّن الدلالة النصية، وبحثوا كذلك علاقة النص القرآني بالعالم الخارجي.

وقد ازدهرت الدراسات النصية الحديثة في الغرب في الستينات والسبعينات من القرن العشرين، وهذه الدراسات تعنى بالنص، وتسعى إلى إبراز الطبيعة الكلية للنصوص، والنسيج الذي يربط بين أجزاء النص، وقد تأثر بعض الدارسين العرب بهذه الدراسات في دراستهم النص العربي، وبعضهم يسميه تحليل الخطاب ، وما زالت هذه الدراسات في مهدها وتتنازعها مذاهب مختلفة، ومن ثم اختلفت الاتجاهات التحليلية ، وقد حققت نتائج مقبولة في البحث اللساني المعاصر، ونميل إلى اختيار «اللسانيات» لمثل هذه الدراسات بديلاً لعلم اللغة التقليدي؛ لأنها تبنت الدراسات الحديثة، وأفادت من المناهج البحثية الحديثة، وتعاونت فيها الدراسات اللغوية والأدبية والبلاغية ، وعناصر هذه العلوم مجتمعة شاركت في بناء النص الكلي.

وكتابنا «الربط فى اللفظ والمعنى» دراسة تطبيقية للتعرف على أسرار النص في ضوء الدراسات النصية، وقد اخترت قصيدة كعب بن زهير «بانت سعاد» نموذجًا تطبيقيًا، وهي نص شعري تراثي طويل وفرت فيه عناصر القصيدة العربية الأساسية، وقامت بنيتها على روابط نصية، ووظف الشاعر فيها عناصر إقناعية يمكن من خلالها التعرف على معالم التحليل النصي ووسائل الإقناع، وقد دُرست القصيدة من قبل لغويًا وأدبيًا بيد أنها لم تدرس دراسة نصية كلية، وهذا موضوع بحثنا.

ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد فيما انتوينا عمله، والله المستعان.

الدكتور محمود أبو المعاطي أحمد عكاشة